

الحلقة الثانية والسبعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

نأتي مستمعي بحلقة اليوم إلى خاتمة حديث المخلص عن فرقة الفريسيين اليهودية المتمزّمة. وكنا قد تأملنا في اللقاء الماضي عن توجيهه الاتهام لهم أنهم أبناء قتلة الأنبياء، وأن سلوكهم يبرهن أنهم لا يختلفون عن آبائهم. وحذرهم أنهم بذلك يجلبون على أنفسهم ذنب استشهاده كل القديسين المتراكم على مدى التاريخ. ثم أكد أن دينونة الله عليهم ستحصل في هذا الجيل الذي كان المسيح يتكلم معه.

وتابع المخلص المسيح قائلاً: «يا أُورُشَلِيمُ، يا أُورُشَلِيمُ! يا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادَكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةَ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْنَكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا» (بشارة متى ٢٣: ٣٧-٣٨). لقد كانت أورشليم هي عاصمة بني إسرائيل في الماضي، أي قبل مجيء المسيح. والعاصمة تشير إلى الشعب كله وتمثله. فعندما تكلم المسيح عن أورشليم فهو قصد شعب بني إسرائيل بمجمله، أو اليهود بشكل عام. وكما نعلم فإن الله تعامل مع شعب بني إسرائيل في الماضي. واختارهم كعينة عن باقي الشعوب.

وكان قصد الله من اختياره لبني إسرائيل قديماً، هو أن يكون هناك شعب خاص يتعبد له. ولهذا سنّ الله الشرائع والقوانين لهذا الشعب بواسطة كلمته النبي موسى لكي يسلكوا بموجبها. وفي نفس الوقت أراد الله أن يمهد لمجيء المسيح المخلص للعالم أجمع. ولذلك حافظ الله على هذا الشعب لكي يأتي من نسله المسيح. ولقد أرسل الله أنبياء كثيرين لكي يرشدوا هذا الشعب الذي أخذ يتمرد على الله، ويدعوه للتوبة والعودة إليه، وتطبيق الشريعة الإلهية. لكنهم استمروا في الارتداد عن الله، وفعل الشر. فحذرهم الأنبياء من العواقب الوخيمة للارتداد، ومع هذا لم يتوبوا.

صديقي المستمع، مع استمرار ارتداد شعب إسرائيل قديماً عن الله، وكما تنبأ الأنبياء فقد أدانهم الله بأن سلط عليهم أعدائهم. وهكذا قضت مملكة أشور في القرن السابع قبل الميلاد على مملكة إسرائيل في السامرة، شمال أورشليم، وسببت الشعب. وكانت هذه المملكة تمثل عشرة قبائل أو أسباط من بني إسرائيل. أما مملكة يهوذا التي تمثل قبيلتين أو سبطين من بني إسرائيل وهما سبطا يهوذا وبنيامين، فقد استولى نبوخذ نصر ملك بابل على أورشليم في أوائل القرن السادس قبل الميلاد، وسبى الشعب أيضاً، وأنهى بذلك مملكة يهوذا. وهكذا نجد أن الله أدان شعب بني إسرائيل بأكمله بسبب ارتدادهم عنه.

وبعد أن أدان الله شعب إسرائيل قديماً، دبر لكي يعود البعض منهم بعد سبعين سنة من سبي بابل، كما تنبأ النبي إرميا. فأعادوا بناء الهيكل في أورشليم، وأخذ الأتقياء منهم يعبدون الله فيه. وقد سمح الله بعودتهم من السبي لكي يمهد لمجيء المسيح المخلص الملك. أجل فلقد أرسل الله الأنبياء الكثيرين لبني إسرائيل، لكنهم عوض أن يتوبوا، ويعودوا إلى الله، استمروا في التمرد عليه، وقتلوا الكثيرين منهم، لهذا استحقوا الدينونة. والأدهى من ذلك أنه عندما أرسل الله لهم أخيراً المخلص المسيح الذي كانوا ينتظرونه، قابله بالرفض، لا بل تأمروا عليه وقادوه إلى الصلب والموت.

لهذا قال لهم المخلص المسيح: «يا أورشليم، يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجه فراخها تحت جناحها، ولم تريدوا!». فلقد حاول الله مرات عديدة أن يعيد شعب إسرائيل تحت كنفه، لكنهم قتلوا أنبياءه، واستمروا في تمردهم، ثم رفضوا المسيح نفسه. ولقد كتب البشير يوحنا قائلاً: «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله» (بشارة يوحنا ١: ١١). أي أن المسيح قد أتى أولاً إلى شعبه الخاص قديماً، ألا وهو بنو إسرائيل، تنميماً لنبوءات العهد القديم، لكن هذا الشعب لم يقبله ورفضه. لا بل تأمر عليه وقاده إلى الموت صلباً. فما أعظمها من جريمة بحق الله نفسه.

ونتيجة لذلك كله قال لهم المسيح: «هوذا بيتكم يترك لكم خراباً». والمقصود بالبيت هنا الهيكل في أورشليم، المكان الذي خصصه الله قديماً لعبادته، وتقديم الذبائح الحيوانية فيه. هذه هي الدينونة الأخيرة التي أدان فيها الله هذا الشعب، بأن أصبح الهيكل المكان المقدس خراباً كاملاً، وانتهت العبادة فيه وبشكل نهائي.

لعل السؤال الآن مستعصي: متى تم خراب الهيكل كما تنبأ المسيح؟ وكيف تم تدميره؟ لقد سأل التلاميذ المسيح بعد أن سمعوا كلامه عن خراب الهيكل، «وأنه لا يترك هنا حجر على حجر لا يقض»، سألوه قائلين: «قل لنا متى يكون هذا؟» (بشارة متى ٢٤: ٢٤).

٢ب، ٣ب). فأجابهم المسيح قائلاً: «وَمَتَى رَأَيْتُمْ أُورُشَلِيمَ مُحَاطَةً بِجُيُوشٍ، فَحِينِنْدِ اعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ خَرَابُهَا... لِأَنَّ هَذِهِ أَيَّامَ انْتِقَامٍ، لِيَتِمَّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ... لِأَنَّهُ يَكُونُ ضَيْقٌ عَظِيمٌ عَلَى الْأَرْضِ وَسُخْطٌ عَلَى هَذَا الشَّعْبِ. وَيَقْعُونَ بِقَمِّ السَّيْفِ، وَيُسَبَّوْنَ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ» (بشارة لوقا ٢١: ٢٠، ٢٢-٢٣).

وفعلاً تَمَّت نبوءة المسيح هذه بعد أربعين سنة من حديثه هذا، وهو الذي عاد وقال أيضاً: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمْضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ» (بشارة متى ٢٤: ٣٤). ففي عام ٧٠ سبعمين ميلادية أتت الجيوش الرومانية بقيادة تيطس وحاصرت أورشليم ودمّرت الهيكل بالتمام. فقتل مئات الألوف، وسُبي الباقون إلى بلدان عديدة. ولقد وصف المؤرخون حصار أورشليم والفظائع التي أرتكبت فيها، وعملية تدمير الهيكل وحرقه. ولم يبق فيه كما قال المسيح: **حجر على حجر لم يُنقض**. وتَمَّت أيضاً نبوءة المسيح عن أيام الانتقام، والضيق العظيم على هذا الشعب. وهكذا أدان الله هذا الشعب بسبب ارتداده عنه ولرفضه المخلص الذي أرسله.

صديقي المستمع، وماذا عنك أنت؟ هل تتجاوب مع الفرصة التي يقدمها الله لك الآن لكي تتوب عن خطاياك وتؤمن بالمخلص الوحيد الذي أرسله؟ أم تراك تهمل وتتمرد وهكذا تجلب على نفسك الدينونة؟ أرجو أن تقبل رحمة الله وتؤمن بشخص المسيح المخلص الفريد، وهكذا تتال الغفران الكامل والحياة الأبدية.